القيم الأخلاقية الإسلامية

وأثرها في تعزيز المشترك الإنساني

إعداد
د/ عالية أحمد مسفر الغامدي
أستاذ مساعد الثقافة الإسلامية قسم الشريعة، كلية الشريعة والقانون - جامعة الباحة- المملكة العربية السعودية

القيم الأخلاقية الإسلامية وأثرها في تعزيز المشترك الإنساني

عالية أحمد مسفر الغامدي.
قسم الشريعة، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: aamesfar@bu.edu.sa

ملخص البحث:

القيم الأخلاقية في الإسلام لها أهمية كبيرة في تحقيق السلام والأمن بين الأمم والشعوب، تكمن مشكلة الدراسة في أن الدراسات حول أثر القيم الأخلاقية الإسلامية في تعزيز المشترك الإنساني شحيحة جدًا، وبناء على ذلك تسعى الباحثة لأن تسد هذه الثغرة البحثية المهمة، والتي تثار في وقتنا الحاضر بقوة على الصعيد الوطني والعالمي، في ضوء الضخ الإعلامي والاستهداف الممنهج للإسلام وتشريعاته الإنسانية، ووسمه بما هو منه براء. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أسس فلسفة الأخلاق في الإسلام، وتوضيح أركان القيم الأخلاقية، كما تبين أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة؛ كالحوار، والتعارف، والكرمة الإنسانية، والتعايش، وقد اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي لمعالجة قضايا الدراسة، بحسب طبيعة الموضوعات المدروسة، وتتكون خطة هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة؛ المقدمة، وفيها: أهمية الدراسة، وأهدافها، وخطتها، ومنهجها. التمهيد، وفيه: تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح، وتعريف القيم في اللغة والاصطلاح، بالإضافة إلى تعريف القيم المشتركة، وأما المبحث الأول: ففيه أسس وأركان القيم الأخلاقية في الإسلام، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: أسس القيم الأخلاقية في الإسلام، والمطلب الثاني: أركان القيم الأخلاقية في الإسلام، وأما المبحث الثاني: ففيه أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الحوار، والتعارف، والمطلب الثاني: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الكرامة الإنسانية، والتعايش. وقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج أهمها: الإسلام سبق كافة القوانين والتشريعات في وضع أسس التعايش والقيم المشتركة. للقيم الأخلاقية في الإسلام ثلاث أسس هي: المعرفة، والتربية الأخلاقية، والسلوك. للقيم الأخلاقية في الإسلام ثلاثة أركان: الإلزام، والمسؤولية، والجزاء. الجزاء في الإسلام يشمل الجانب الدنيوي والأخروي

خلافًا للنظريات الوضعية التي لا تجعل للقيم الروحية والآخرة شأنًا ولا تلقي لها بالًا. الإسلام يربي الضمير عن طريق العناية بالقلب، الذي هو مركز الضمير. ترتكز القيم المشتركة في الإسلام على أربع من القيم العليا، وهي: الحوار، والتعارف، والكرامة الإنسانية، والتعايش. الإسلام لا يفرق في الكرامة بين المسلم وغير المسلم، فالكل لهم حق الكرامة. من شأن تطبيق القيم الإسلامية تحقيق العيش الكريم والسلم الاجتماعي الداخلي والخارجي. القيم الأخلاقية مرتبطة بالسلوك، وهو المعبر عنها، وهي مرتبطة بكل جوانب الحياة.

الكلمات المفتاحية: القيم ، الأخلاق ، الإنسان ، التعايش ، الإسلام ، المشترك الإنساني ، الحوار ، الكرامة الإنسانية.

Ethical Values and Their Role in Reinforcing Shared Human Principles

Aliyah Aḥmad Misfer al-Ghamidi

Department of Shari'ah, College of Sharīʿah and Law – Al-Baha University, Saudi Arabia.

Email: aamesfar@bu.edu.sa

Abstract:

Islamic ethical values play a vital role in fostering peace and security among nations and peoples. However, there is a noticeable lack of research on how these values contribute to the reinforcement of shared human principles. This study seeks to address that gap, especially in light of current global and national circumstances marked by media distortions and systematic attacks on Islam and its humane teachings. The research aims to explore the foundations of moral philosophy in Islam and to clarify the structural components of its ethical system. It also examines how Islamic ethics supports universal values such as dialogue, mutual recognition, human dignity, and coexistence.

To investigate these questions, the study employs both inductive and analytical methods suited to the subject matter. It is structured into an introduction, a preamble, two main chapters, and a conclusion. The introduction outlines the study's significance, objectives, methodology, and structure. The preamble defines key terms—ethics and values—both linguistically and technically and explains the concept of shared human values.

The first chapter explores the foundations and pillars of Islamic ethical values. It is divided into two sections: the first discusses the sources upon which Islamic ethics is built, and the second outlines its structural components. The second chapter investigates the impact of Islamic ethics in promoting shared human values. This chapter also contains two sections: the first focuses on the values of dialogue and mutual recognition, while the

second addresses human dignity and coexistence.

The study concludes that Islam was ahead of all legal systems in establishing the principles of coexistence and shared values. Islamic ethics rests on three foundations: knowledge, moral education, and conduct. It also comprises three core pillars: obligation, responsibility, and accountability. Unlike secular moral theories, Islamic ethics incorporates both worldly and otherworldly consequences, giving due weight to spiritual and eschatological dimensions. It nurtures the moral conscience by emphasizing the heart as its central locus. Shared values in Islam are rooted in four central principles: dialogue, mutual recognition, human dignity, and peaceful coexistence. Islam affirms the dignity of every human being, Muslim and non-Muslim alike. The application of Islamic ethical values fosters a dignified life and contributes to internal and external social harmony. These values are inseparable from behavior, which reflects and embodies them in all dimensions of life.

Keywords: values, ethics, human being, coexistence, Islam, shared human principles, dialogue, human dignity.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين.

وبعد: فإن القيم الأخلاقية في الإسلام لها أهمية كبيرة في تحقيق السلام والأمن بين الأمم والشعوب، ذلك أن الله تعالى قد جعل هذا الدين وافيًا بكل متطلبات البشر، وصالحًا لكل زمان ومكان، ويأتي هذا البحث ليكشف جانبًا من جلال هذا الدين وعظمته في تحقيق القيم المشتركة، كما يكشف عن كنوز ثمينة في هذا المجال احتواها كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ، وهو مساهمة من الباحثة ومشاركة في المؤتمر العلمي الأول، الذي سيقام في أرض الكنانة، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، في تاريخ ٢٠٢٥/٢/٢٥م، وقد جعلته تحت مسمى: القيم الأخلاقية الإسلامية وأثرها في تعزيز المشترك الإنساني، وتتناول هذه الدراسة مفهوم القيم الأخلاق الإسلامية، وأسسها الفلسفية، وأركانها مع عرض بعض النماذج من الأخلاق، وبيان أثرها في تعزيز المشترك الإنساني.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن الدراسات حول أثر القيم الأخلاقية الإسلامية في تعزيز المشترك الإنساني شحيحة جدًا، وبناء على ذلك تسعى الباحثة لأن تسد هذه الثغرة البحثية المهمة، والتي تثار في وقتنا الحاضر بقوة على الصعيد الوطني والعالمي، في ضوء الضخ الإعلامي والاستهداف الممنهج للإسلام وتشريعاته الإنسانية، ووسمه بما هو منه براء.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من الآتي:

١. كونها تعالج قضية مطروحة على الصعيد الإنساني والعالمي اليوم، ولها آثارها وانعكاساتها على مختلف جوانب الحياة الإنسانية.

٢. إنها تكشف عن أثر الأخلاق الإسلامية في التأسيس لقيم العيش المشترك في ظل الوطن الواحد، والتواصل والحوار والتفاع مع الآخر.

٣. إنها تكشف عن الرؤية الإسلامية للعلاقات الإنسانية دون اعتبار لاختلاف الجنس أو اللون أو المعتقد.

أهداف الدراسة:

تروم هذه الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان أسس فلسفة الأخلاق في الإسلام.

٢. توضيح أركان القيم الأخلاقية.

٣. بيان أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة؛ كالحوار، والتعارف، والكرمة الإنسانية، والتعايش.

منهج البحث:

سوف تستعمل الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي لمعالجة قضايا البحث.

خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

- المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.
- التمهيد، وفيه: تعريف الأخلاق، وتعريف القيم المشتركة.
- المبحث الأول: أسس وأركان القيم الأخلاقية في الإسلام، وفي مطلبان:
  - المطلب الأول: أسس القيم الأخلاقية في الإسلام.
  - المطلب الثاني: أركان القيم الأخلاقية في الإسلام.
- المبحث الثاني: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الحوار، والتعارف.
  - المطلب الثاني: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الكرامة الإنسانية، والتعايش.

التمهيد

تعريفات عامة

تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

الأخلاق في اللغة:

جمع خُلق، وهو الطبع، والدين، والسجية[١]، لأن صاحبه قد قُدِر عليه، يُقال: فلان خليق بكذا، وأخلق بكذا، أي: ما أخلقه[٢].

الأخلاق في الاصطلاح:

قيل هي: "حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"[٣].

وقيل هي "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية"[٤].

تعريف القيم في اللغة والاصطلاح:

القيم في اللغة: جمع قيمة، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، يقال: تقاوموه فيما بينهم[٥]، والقيمة هي الثمن الذي يقاوم به المتاع، أي يقوم مقامه، ويقال: قوَّمت المتاع جعلت له قيمة معلومة[٦]. وقوم الشيء تقويما فهو قويم، أي:

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ٨٨٩/١، القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص٤٩٤.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ٢١٤/٢.

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، د. ت. ص٢٥.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ٣/٣٩.

(٥) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء، التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٢٦٩/٩.

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، محمد بن أحمد الفيومي، المكتبة العلمية بيروت،.٢/٥٢٠

مستقيم[١]، وقيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمة، أي: ما له ثبات ودوام على الأمر[٢] .

القيم في الاصطلاح:

تعدد تعريفات القيم بتعدد واختلاف مشارب واتجاهات المعرفين، والحقول التي تعمل القيم فيها أو تنضوي تحتها.

القيم في الاصطلاح:

القيم بشكل عام: "هي مجموعة الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزانًا يزنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"[٣].

أو هي: "مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية"[٤].

تعريف القيم الإسلامية هي: "مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل[٥].

والقيم الأخلاقية المشتركة: هي مجموعة المثل والقواعد التي تشترك فيها أصحاب الأديان المختلفة وتشكل معايير لسلوك الفرد والجماعة فيها.

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.،١٢/٤٠٥

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، إسطنبول، دار الدّعوة، .٢/٧٦٨

(٣) الإسلام والصحة النفسية والجسدية للأنام، فايق محمد غنايم، دار المأمون للطباعة والنشر، ٢٠١٨م، ص١٥٩.

(٤) الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا، عبد الله الطريفي وزملاؤه، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص١٤.

(٥) المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، مروان القيسي، مجلة دراسات، سلسلة العلوم الانسانية، جامعة اليرموك، إربد، المجلد (٢٢)، العدد (٦٦)، ص٣٢٢٣.

المبحث الأول

أسس وأركان القيم الأخلاقية في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

أسس القيم الأخلاقية في الإسلام

ترتكز الأخلاق في الإسلام على ثلاثة من الأسس:

١ - المعرفة:

المعرفة في اللغة:

مصدر عرف يعرف معرفة وعرفان، والعرفان: العلم[١]، والمعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، وحصيلة التعلم عبر العصور[٢].

المعرفة في الاصطلاح:

المعرفة بشكل عام هي: "المعلومات المنظمة القابلة للاستخدام في حل مشكلة معينة أو هي معلومات مفهومة ومحللة ومطبقة"[٣].

والمعرفة الأخلاقية المقصودة هنا: "هي المعرفة المتصلة بموضوع الأخلاق، من حيث: مبادئها، وأصولها، وطبيعتها، وطرق اكتسابها وتحصيلها، وكذلك البحث في غاية الأخلاق ومصادرها"[٤].

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ١٠٨/٢، ابن منظور، لسان العرب، ٧٤٨/٢.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ٢/١٤٨٧.

(٣) اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة، محمد جواد الزيادات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمَّان، ٢٠٠٩م، ص١٩.

(٤) أسس فلسفة الأخلاق، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد (٦)، العدد (٦)، ١٩٩٧م، ص٤٨.

وقد قدمت فلسفة الأخلاق في الإسلام نظرية متكاملة في شقيها النظري والعملي، مما يشكل الأساس المتين والدعامة الحقيقية لنظرية المعرفة الأخلاقية في الإسلام، وكل ذلك مستمد من تعاليم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومن موجهات العقل السليم، والفطرة المنضبط، التي لم تتلوث بلوثة التقليد الأعمى، وسطوة الشبهات والشهوات.

والأخلاق في الإسلام مرتبطة الأصول الأخلاقية الثابتة التي أرساها الدين الإسلامي الحنيف، فمن المعلوم أن نصوص القواعد والأصول الأخلاقية محكمة لا نسخ فيها؛ لأنَّ بها قوام الحياة، و"لأنها من الأمور المتفق عليها في الشرائع السماوية"[(١)]، ومن الآيات الجامعة التي اشتملت على معارف أخلاقية نظرية وتطبيقية كثيرة قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال القرطبي[(٢)]: "هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"[(٣)].

(١) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص٢٤٧.

(٢) أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ القرطبيّ، الإمام، المفسر، كان شيخا فاضلًا، وله تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه ووفور فضله، له مصنفات كثيرة، ومنها: الجامع لأحكام القرآن، والذكرة، وغيرهما، (ت٦٤١هـ). انظر: صلة التكملة لوفيات النقلة، عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني (٦٣٦ - ٦٩٥ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيرت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ٦٣٨/٢، ٦٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، وطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م، ٧/٣٤٤.

وفي "هذه الآية بيان لأصول الفضائل الأدبية، وأساس التشريع، وهي تلي في المرتبة أصول العقيدة المبنية على التوحيد، الذي تقرر فيما قبلها من الآيات، بأبلغ التوكيد، فقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ يأمر فيه بثلاثة أشياء، هي أصول كلية للقواعد الشرعية والآداب النفسية والأحكام العملية. الأصل الأول: العفو...فالمراد به أن من أصول آداب هذا الدين وقواعد شرعه اليسر وتجنب الحرج، وما يشق على الناس...الأصل الثاني: الأمر بالعرف وهو ما تعارفه الناس من الخير وفسروه بالمعروف...الأصل الثالث: الإعراض عن الجاهلين، وهم السفهاء، بترك معاشرتهم وعدم مماراتهم، ولا علاج أوقى لأذاهم من الإعراض عنهم"[(١)].

والخطاب في الآية "لرسول الله ﷺ، ويعم جميع أمته، وهي أمر بجميع مكارم الأخلاق"[(٢)].

ولقد كانت حكمة الله تعالى في شرع الأخلاق ومصلحة الناس في التخلق بها أمرًا ظاهرًا لا يتأثر بمرور الزمن، ولا يختلف باختلاف الأشخاص والأمم، حتى يتناولها النسخ بالتبديل والتغيير[(٣)].

والمعرفة الأخلاقية شاملة، فتتضمن الأخلاق الفردية، والأخلاق الأسرية، والأخلاق الاجتماعية، وأخلاق الدولة[(٤)].

٢ - التربية الأخلاقية:

وهي الأساس الثاني من أسس الأخلاق في الإسلام، وتعني: "مساعدة النشء على إبقاء حالتهم الفطرية وعواطفهم الطبيعية الصافية التي ولدوا عليها وتدريبهم وتعليمهم وتوجيههم بتدرج إلى القيم الخلقية التي حث عليها ديننا، والتحلي بها،

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،.٤٤٨ - ٩/٤٤٥

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل وآخرين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، .٥/٢٥٦

(٣) انظر: النسخ في القرآن الكريم، عبد الله بن حمد الشبانة، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٩)، ص٢٥٢.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ترجمة وتعريب: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ص٦٨٩ وما بعدها.

حتى يسلكوا طريق الخير، المؤدي إلى الصلاح في الدنيا والآخرة، ويجتنبوا طريق الشر المؤدى إلى الخسران في الدنيا والآخرة"[١].

فالتربية الأخلاقية هي تنشئة وتكوين الإنسان المتكامل خُلقيا، بحيث يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، فيسارع إلى الخيرات، ويتسابق فيها، كما يسارع إلى إزالة الشرور، ويتضمن ذلك جانبين: تطهير النفس من الرذائل الأخلاقية، ويطلق عليه التخلية، وتنمية نزعات الخير والفضائل، ويسمى التحلية، وهذه التربية مستمدة من الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]، قال ابن كثير: "ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفوس، وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب -وهو القرآن، والحكمة -وهي السنة -ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة"[٢].

والتربية الأخلاقية هدف من أهداف التربية في الإسلام، واهتمامها بذلك يبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة، لما لها من الأثر الكبير في بناء الشخصية، وهذه التربية لا تنفصل عن تعاليم الدين، على اعتبار أن الدين ثلاثة أقسام: عقيدة، وشريعة، وأخلاق، ومناط غرس الأخلاق هو التربية الأخلاقية.

ومن المعلوم أن من خصائص الأخلاق الإسلامية الشمول، وأن هدفها الرئيس هو حماية الفرد والمجتمع والأمة من الرذائل والانحراف والفساد والجريمة.

---

(١) التربية الأخلاقية في الإسلام، مفهومها وأهدفها ومصادرها، رياض جواد، مجلة دراسات وأبحاث تربوية، بيروت، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع، ص٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ١/٤٦٤.

والتربية الأخلاقية تحقق التكامل والتوازن بين مطالب الروح والجسد، وبين العاطفة والعقل، كما تسعى إلى تحقيق التكامل في الشخصية؛ من حيث تهيئة القوى الداخلية للفرد نحو السلوك الصحيح.

والتربية الأخلاقية تقدم الأسس المرجعية لتوجيه السلوك، وبناء العلاقات مع الآخرين على نحو أخلاقي، كما أنها تسعى تنمية الإحساس بالمسؤولية، وخدمة المجتمع من خلال تمكين الفرد من وضع إمكانياته الإبداعية كاملة في خدمة المجتمع، وهذا الأمر يتعلق بالقدرات والخبرات والإمكانيات التي يمتلكها الفرد، حيث إن هناك ارتباطًا وثيقًا بين المعرفة العلمية والأخلاق، فالمعرفة أيا كان نوعها يجب أن توضع في خدمة المجتمع، ومن أجل تحقيق تقدمه وازدهاره.

وفي ظلال التربية الأخلاقية تتجذر القيم والفضائل؛ كالعفة، والأمانة، والصدق وغيرها؛ لأنها تعمل على تنمية الاستعداد لدى الفرد لأن يعمل ما هو أخلاقي، وأن يصل بنفسه إلى التلقائية في التأمل الذاتي والقدرة على ضبط النفس.

٣ - السلوك الأخلاقي:

السلوك في اللغة:

مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي سلك، ويدور معناه حول الدخول والطريق والسيرة والمذهب، وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا، بمعنى دخل، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١]، أي: أدخله[(١)]، وقال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ١٢]، والمسلك الطريق ومنه مسالك المياه، ويقال أخذ في مسالك الحق، والسلوك سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه[(٢)].

(١)))مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م، ص١٥٨.

(٢) فاعلية التربية الأخلاقية في المدارس الأردنية الخاصة، إسراء عبد الله، ومحمد الزيود، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، مجلد (٢٨)، العدد (٢)، ص٥٧٩.

السلوك في الاصطلاح:

هو كل ما يصدر عن الكائن الحي نتيجة احتكاكه أو اتصاله ببيئة خارجية[١].

أو هو: "أعمال المرء الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة"[٢].

والسلوك الأخلاقي مكون مهم من مكونات الأخلاق، وهو المظهر الخارجي لها، ويُستدل بالسلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له وعنوان عليه، وإذا كان الخلق حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها؛ أي حالة نفسية باطنية، فإن السلوك هو الأفعال التي تصدر عن هذه الحالة الراسخة الكامنة في النفس[٣].

والسلوك الأخلاقي له مكانته الكبرى في ميزان الله؛ وهو أصيل في بنيان هذا الدين، ولا يمكن تصور انفصام الصلة بين الأخلاق وبين سائر جوانب الدين الأخرى سواء أكانت عقيدة أو شريعة أو دعوة إلى دين الله تعالى.

أ- ففي مجال العقيدة ثمة تلازم تام بينها وبين الأخلاق، بل إن غياب الأخلاق أو ضعفها مؤذن بضعف الإيمان أو نقصانه كما قال ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له[٤]، وأخبر ﷺ أن سيئ الخلق مع جيرانه لا يدخل الجنة فقال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه[٥].

(١) علم النفس العام، مدثر سليم أحمد، د. ت، د. ط، ص١٣١.

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٧م، ص٧٣.

(٣) انظر: مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، ص٧٣، مقدمة في علم الأخلاق، محمود حمدي زقزوق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص٣٣، ٣٤.

(٤) المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٣٧٦/١٩، حديث رقم (١٢٣٨٣)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٢٠٥/٢، حديث رقم (٧١٧٦).

(٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، ٦٨/١، حديث رقم (٤٦).

وهكذا تظهر العلاقة الوثيقة بين العقيدة والسلوك الأخلاقي إذا علم العبد أن الإيمان بالله ربا وخالقًا وإلها، ومعرفته بأسمائه وصفاته يوجب عليه مراقبة الله وخشيته، والتحلي بمحاسن الأخلاق واجتناب رذائلها.

ب- وفي جانب العبادات والمعاملات ثمة ارتباط وثيق بينها وبين السلوك الأخلاقي فما من عبادة يتقرب بها إلى الله إلا وهي مقرونة بالأخلاق الفاضلة؛ ففي الصلاة أخبر الله تعالى أنها: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال ﷺ: إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة[(١)]، وفي الزكاة قال تعالى﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وفي الصوم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال النبي ﷺ: الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم[(٢)].

وفي الحج قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي العلاقات الزوجية قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَن

(١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، ٢٢٨/١، حديث رقم (٦٠٩)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيًا، ٤٢١/١، حديث رقم (٦٠٣)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم؟، ٦٧٣/٢، حديث رقم (١٨٠٥).

تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وفي البيوع والمعاملات المالية قال ﷺ: من غشنا فليس منا[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (من غشنا فليس منا)، ٩٩/١، حديث رقم (١٠١).

المطلب الثاني

أركان القيم الأخلاقية في الإسلام

للقيم الأخلاقية في الإسلام ثلاثة أركان:

الركن الأول: الإلزام:

الإلزام في اللغة:

الإلزام مصدر مأخوذ من الفعل ألزم، وألزم المكان: ثبت ولزمه وأقام. وألزمت فلانا بفلان إلزاما. ورجل لزمة: لازم للبيت، واللزوم: لزوم الخير أو الشر. ولزمه الشيء: أعجبه[١].

الإلزام في الاصطلاح:

إلزام المكلف بتصديق ما قرره من الحق، وتنفيذ ما شرعه من الأحكام، والأخذ بما وصى به من مكارم الأخلاق، والعزوف عما نهى عنه من مساوئها[٢].

والإلزام هو الركن الأول من أركان الأخلاق والقيم الإسلامية، وهو: "القاعدة الأساسية، والمدار، الذي تدور حوله كل القيم، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاتها، وفناء ماهيتها؛ ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام"[٣].

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للإلزام الأخلاقي؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم به، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، والله تعالى هو الآمر بكل التشريعات الأخلاقية والملزم بها[٤]، قال تعالى: ﴿قُلْ

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٥٤١/١٢.
(٢) طرق الإلزام الأخلاقي وتنوعها، مصطفى حلمي، شبكة الألوكة، طرق الإلزام الأخلاقي وتنوعها في الإسلام
(٣) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ص٢١.
(٤) انظر: أسس فلسفة الأخلاق، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، ص٤٨.

تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]، وقال تعالى :﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣١ - ٣٦]، ومادامت كل هذه القيم الأخلاقية من الله تعالى فهي ثابتة خالدة.

ومن مصادر الإلزام الأخلاقي السنة النبوية، فالالتزام بأخلاقيات الإسلام في التعامل والسلوك يعد من صميم الدين، وهو بمصدريه - الكتاب والسنة - يدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات والأفعال، والالتزام بأداء الحقوق لأصحابها، وحفظ الأمانة، ورد الأمانات إلى أهلها، والصدق في القول والفعل، تصديقا لقول الرسول ﷺ: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[1]، "أي: التي جبل الله

(١) المسند، أحمد بن حنبل، ٥١٣/١٤، حديث رقم (٨٩٥٢)، الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ، ص١٠٤، حديث رقم (٢٧٣)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص١١٨.

عباده عليها من الوفاء والمروءة والحياء والعفة، ولما قد علمهم رسل الله من قبل، وقيل الأخلاق هي صلاح الدين والدنيا والمعاد التي جمعها في قوله: اللهم أصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي[١]."[٢].

ومن مصادر الإلزام الأخلاقي الجماعة المسلمة التي حملها الإسلام جزء من المسؤولية عند انحراف الفرد، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الانفال: ٢٥]

ومن مصادر الإلزام الأخلاقي الضمير، وهو السلطة الأخلاقية العليا في القرآن الكريم، فهو مصدر الإلزام، والمراقبة والمحاسبة، يصلح المرء بصلاحه، ويفسد بفساده[٣]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾[ق: ٣٧]، ومحاسبة النفس تعد صورة من صور الإلزام الأخلاقي، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، عن النبي ﷺ قال: البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك[٤].

و"البر: كلمةٌ جامعةٌ لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم: كلمةٌ جامعةٌ لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها"[٥].

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٢٠٨٧/٤، حديث رقم (٢٧٢٠).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١٩٠/٤.
(٣) انظر: أصول الأخلاق في القرآن الكريم، عبد الستار محمد نوير، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد (٧)، ١٩٨٩م، ص٣٨٧.
(٤) المسند، أحمد بن حنبل، ٥٣٣/٢٩، حديث رقم (١٨٠٠٦)، وقال الألباني: "حسن لغيره"، صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ٣٢٣/٢، حديث رقم (١٧٣٤).
(٥) الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، عني به: أحمد جاسم

إن "الإسلام يعمل على إحياء الضمير، وهو يميز به ما هو حسن وجميل من سلوك مما هو قبيح وضار، ومن ثم تطمئن النفس إلى السلوك الجميل وتقشعر من السلوك القبيح، ومن ثم يدفعه إلى الالتزام بالأول والابتعاد عن الثاني"(١).

ولقد خلق الله الإنسان في أحسن خلق وخُلق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ويجد الإنسان في أعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر إذا أُغري به وهو ما يسمى دافع الضمير، هذا الضمير نشعر به كأنه صوت ينبعث من أعماق صدورنا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ولو لم نرج مكافأة أو نخش عقوبة(٢).

الركن الثاني: المسؤولية:

المسؤولية في اللغة:

مصدر صناعي، مأخوذ من سأل، يسأل، سؤالاً ومسألة"(٣). واسم الفاعل منه: السائل، واسم المفعول: المسؤول، "وتقول: سأله بكذا وعن كذا: استخبره عنه وطلب منه معرفته. وسأله عن كذا: حاسبه عليه وآخذه به. وسأله الشيء: طلبه منه. وسأله الوعد: طلب وفاءه وإنجازه. وسأله: طلب معروفه وإحسانه. وسأله بالله أن يفعل كذا: أقسم عليه أن يفعل"(٤).

المسؤولية في الاصطلاح:

هي: التزام الفرد بأداء المهام الملقاة على عاتقه بما فيها احتياجاته الشخصية أو احتياجات الجماعة التي ينتمي إليها، بحيث يصبح من الأعضاء الفاعلين في المجتمع"(٥).

المحمد، وآخرون، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٤٦٢.

(١) دستور الأخلاق، محمد عبد الله دراز، ص٢٣٥.

(٢) كتاب الأخلاق، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ص١٥.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٢٤/٣.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية للنشر، د. ت، ٣٦٥/٧، ٣٦٦.

(٥) تنمية اتجاه الطالبات نحو قيمة تحمل المسؤولية، منتهى بنت محارب، العدد (٦٧)، مجلة

أو هي: تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"[١].

والمسؤولية في الإسلام واسعة المجالات والتطبيقات: فهي تعني قيام الإنسان بحق الله تعالى، وبحق نبيه ﷺ، وحق نفسه وحق أسرته، وحق المجتمع الذي يعيش فيه، فهي منوطة بالحاكم، والفرد، والمجتمع، والأمة المسلمة، ولا يعفى منها أحد إلا إذا لم يكن مكلفًا، وكل مكلف مسؤول عن كل ما يقوم به أو يصدر عنه من قول أو عمل في حدود استطاعته.

ومجالات المسؤولية كثيرة، وأهمها:

١ - المسؤولية الفردية:

وهي مسؤولية الإنسان عن نفسه، قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقد بين القرآن الكريم مسؤولية الإنسان عن حواسه؛ السمع والبصر والعقل فيما يرضي الله تعالى ولا يغضبه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، "أي: ولا تتبع ولا تقف ما لا علم لك به، من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً، وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة"[٢].

وهذه تربية أخلاقية، ونهي عن تبديد الطاقات الفكرية والعقلية في قفو أشياء زائفة، مع ضرورة استخدام العقل والتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد فيه، فنهي الله تعالى "عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال"[٣].

الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، ٢٠٢١م، ص١٩.

(١) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، ٢٠٠٧م، ص١٥.

(٢) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.٢٠/٣٣٩

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧٥/٥.

وفي الآية دعوة للمحافظة على العقل، وهو إحدى الضروريات الخمس، وفي تعقيب الآية بقوله: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ، دلالة على قيمة المسؤولية عن الحواس والجوارح، فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله أو فعله، وعليه أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمال جوارحه في عبودية الله، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تعالى[١]. وكل شخص مسؤول عن تبعة ما تحمله من مسؤولية فردية كانت أو جماعية عامة كانت أو خاصة، قال ﷺ: كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته. قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته[٢].

٢ - المسؤولية الجماعية:

وهي تلك المسؤولية التي تراعي الصالح العام، ومما يتميز به نظام القيم في الإسلام أنه نظام اجتماعي يشد بعضه بعضًا، كما مثَّل الرسول ﷺ حال المؤمنين الصادقين بالجسد الواحد، فقال ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٣]، وقال ﷺ: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهوون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه، فلا يستجيب لكم[٤].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٤٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ٣٠٤/١، حديث رقم (٨٥٣)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ١٤٥٩/٣، حديث رقم (١٨٢٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٢٠/٨، حديث رقم (٢٥٨٦).

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م، باب =

والمسؤولية في الإسلام تشمل الدارين، فكل عبد مسؤول عما كان يعمله في الدينا من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

الركن الثالث: الجزاء:

الجزاء في اللغة:

المكافأة على الشَّيء، يقال: جزاه به وعليه جزاءً، وجازاه مجازاةً وجزاء، والجزاء يكون في الخير والشر(١).

الجزاء في الاصطلاح:

يعرف بشكل عام بأنه: ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شرا فشر(٢).

والجزاء هو الركن الثالث من أركان القيم الأخلاقية:

والجزاء في مجال القيم هو: "رد فعل القانون الخلقي على موقف الأشخاص الخاضعين لهذا القانون والملتزمين به"(٣).

والجزاء في الإسلام مبني الأخلاق والقيم، وهو كل ما يترتب على أفعال المكلف المسؤول من ثواب أو عقاب إلهي، وهذا الجزاء من الله تعالى، قد يكون ثوابًا أو عقابًا، وقد يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل ٩٧].

ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٢٤٣/٤، حديث رقم (٢٣٠٩)، وقال الألباني: "حسن لغيره" صحيح الترغيب والترهيب، ٥٧٦/٢، حديث رقم (٢٣١٣).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٤٣/١٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص١٢٥.

(٣) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ٢٤٥.

وقد ورد الجزاء في القرآن الكريم في سياقات متعددة متعلقة بالأفعال، سواء كان فاعل ذلك مؤمنا أو كافرا، أو من العصاة، قال تعالى عن البغاة الذين ينشرون الفساد في الأرض: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]، فقد رتب الله تعالى الجزاء على الإخلال بقواعد الأخلاق، فقال عن السارق: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٨]، ورتب الجزاء والثواب للمحسنين، فقال تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٥]، وتزكية النفس بالأخلاق الحسنة، وتنقيتها من الرديئة جزاؤها موفور في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، والجزاء في الإسلام يتسم بالعدل والفضل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠].

المبحث الثاني

أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة

وفيه مطلبان:

إن التزام فضائل الأخلاق والابتعاد عن رذائلها، له غايتان:

الأولى: اكتساب مرضاة الله عز وجل، فمن التزم مكارم الأخلاق التي أمر بها الإسلام، واجتنب نقائصها، فقد فاز وسعد في الدارين.

والثانية: تحقيق السعادة في الحياة الدنيا، فالالتزام بالهدى القرآني وما حثنا عليه من الفضائل الخلقية كفيل بتحقيق أكبر نسبة من هذه السعادة للفرد والمجتمع.

والأخلاق الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك، وصلاح أي مجتمع أو فساده مرتبط بصلاحها أو فسادها.

ولا يستطيع أي مجتمع أن يعيش أفراده في تعايش، ووئام ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة والقيم المشتركة، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، ومتى فقدت الفضائل الخلقية والقيم المشتركة بين المجتمع، تفكك أفراده وتصارعوا، وأدى بهم ذلك إلى الانهيار، وقد شهد التاريخ أن هلاك الأمم السابقة إنما كان مرجعه إلى فقدان الأخلاق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، وفي الحيز الآتي ستبين الباحثة بعض القيم المشتركة وأثرها في تحقيق الوئام والسلم الاجتماعي:

المطلب الأول

أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الحوار والتعارف

أولًا: قيمة الحوار:

الحوار في اللغة:

مصدر، مأخوذ من فعل حار يحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، ويقصد به المراجعة الكلامية[١]، والحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر[٢].

الحوار في الاصطلاح:

هو "نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[٣].

وقيل هو: "مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة[٤]، فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين"[٥].

ومنهجية القرآن في بناء الحوار تقوم على إرساء مجموعة القواعد توجه المرء إلى الحوار الناجح من خلال آياته، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال ابن كثير: "أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف"[٦].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢١٧/٤.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ٥٧٩/١.

(٣) فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص١١.

(٤) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الرياض، ص٩.

(٥) الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، ص٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٣١٧/١.

والكلمة الحسنة من أسس الحوار الناجح، "وجعل الإحسان لسائر الناس بالقول؛ لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به، وذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسنا فقد أضمروا لهم خيرًا، وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق"(١).

والاختلاف بين البشر جزء من تكوينهم وما جُبلوا عليه، وهو سنة من سنن الله تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فينبغي أن يحل الحوار والتفاعل والتكامل محل الصراع، وتكون العلاقة بالآخر علاقة أخذ وعطاء، وهذا الاختلاف يضفي على الحياة ألوانًا من السلوك والتفكير، فيحل الوئام محل التباين؛ والحوار في الجانب الفكري والثقافي "ينمي الأفكار ويعمقها، ويشذبها مما يعلق بها من انحراف أو جمود أو شوائب، ويحرك العقل باتجاه الإبداع والتجديد ضمن الحدود التي تفرضها مرجعية الاختلاف.(٢)".

والحوار ضرورة من ضرورات الحياة للتخفيف من حدة النزاعات الاجتماعية والسياسية، والحفاظ على السلم الاجتماعي، وهو وسيلة فعالة لاقتلاع جذور العنف التي تؤدي للخروج عن قيم المجتمع دون مبرر أخلاقي أو شرعي.

والحوار - أيضًا - وسيلة ناجعة لإيصال الحقيقة والتواصل بين الناس بمختلف مللهم ونحلهم، وآيات القرآن الكريم ترشد إلى أهمية الحوار في حياة الناس، وتعلمهم حسن الاستماع إلى الآخرين، كما تَخاطب العقل البشري وتدعوه إلى التفكير الإيجابي.

وقد تحاور الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وقص القرآن الكريم محاوراتهم، ومن أمثلة الحوار العقدي الحوار الذي جرى بين رجلين أنعم الله تعالى على أحدهما بجنتين، كانت آية في الجمال، وكثرة الثمار، فسولت له نفسه فاغتر بما عنده، وأشرك بالله، فكان صاحبه المؤمن يحاوره بأدب، وينصحه بلطف،

(١) التحرير والتنوير، ٥٨٣/١.

(٢) الحوار قيمة حضارية، هيثم جلول، مجلة نهج الإسلام، مجلد (٢٤)، العدد (٩٠)، ٢٠٠٢م، ص٦.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]، وفي ختام القصة ندم المشرك على ما اقترف، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢]، وهذه القصة تشع بأدب الحوار، واستعمال اللين مع الآخرين ولو كان مخالفًا في العقيدة.

وقيم الحوار التي أرساها القرآن الكريم لتحقيق التعايش السلمي بين المسلمين وبين غيرهم ترسخ مبادئ الحوار الفعال، وتؤكد على الأسلوب الهادئ الذي يردم هوة الخلاف ولا يعمقها، ويقرب وجهات النظر، وتؤكد العديد من الآيات القرآنية ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ويلاحظ أن هاتين الآيتين قد أكدتا على الأسلوب الهادئ وعلى اللين في عرض المسائل العقائدية، وطريقة الرد عليها من قبل المسلمين حين يحاججهم أهل الكتاب، وهذا يهدي إلى أن يُبقيَ المسلمون الباب مفتوحاً دائما لقنوات الحوار الذي قد يجنب الجميع الدخول في متاهات كبرى هم في غنى عنها.

ومن عوامل نجاح الحوار أن يكون ذا هدف نبيل، والابتعاد عن الجدال بالباطل؛ لأنه يستعمل لقلب الحقيقة من غير هدى ولا برهان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]، فالحوار الهادف ينجح بالحكمة، وبالتي هي أحسن، وباستعمال أفضل أساليب الإقناع والتأثير، والصبر على المحاور، وعدم مقاطعته أثناء حديثه أو بيان رأيه في قضية ما، وهو يستلزم احترام الآخر، وحسن الظن به، والحرص على عدم تحويل الحوار إلى جدال وخصام.

ومن أعظم مقاصد منهج الحوار في القرآن الكريم تعليم المتحاورين أن يكون حوارهم لتصحيح الأفكار، والوصول إلى النتائج التي تحقق مصالح الناس، وتسهم في تقدم المجتمع، وبالحوار يتحقق التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى مهما تباينت مللها ونحلها، وتتحقق معاني القيم الإنسانية المشتركة.

ولا يمكن للحوار أن ينجح إذا لم يصحبه التسامح، ولين الجانب مع المسلم وغير المسلم؛ لأن التسامح من قيم الإسلام الكبرى التي تميزت بها تعاليمه في جميع جوانبه الفردية والجماعية. وقد بين رسول الله ﷺ حين سئل: أي الأديان أحب إلى الله؟ فقال: الحنيفية السمحة[(١)]، والسمحة في اللغة تعني: اليسر والسهولة، و"الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة"[(٢)]، والحنيفية ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل، والسمحة السهلة، أي: أنها مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨][(٣)].

إن الحوار كقيمة أخلاقية ينبغي أن يقوم على أرضية من احترام الآخر وعدم التصغير من شأنه، ومما يُستلهم من المعين القرآني في مجال أدب التواصل مع المخالفين، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

ومن مظاهر البُعد الحواري في القرآن التأكيد على كلمة سواء كأساس لقبول الآخر، والتعايش معه، دون تمييز أو إكراه؛ كونها تلغي ثنائية التابع والمتبوع، والمستضعف والمستكبر، والغني والفقير، وتؤسس هذه الكلمة لمساواة إنسانية على أساس الآدمية المشتركة[(٤)]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا

(١) المسند، أحمد بن حنبل، ١٧/٤، حديث رقم (٢١٠٧)، الأدب المفرد، البخاري، ص١٠٨، حديث رقم (٢٨٧)، وقال الألباني: "حسن"، انظر: صحيح الأدب المفرد، ص١٢٢.

(٢) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٤٨٥/٦..

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م،٩٤/١، باختصار يسير.

(٤) عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بوطالب، =

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فكلمة سواء "تعد منهجًا لإدارة الاختلافات، من خلال التركيز على القواسم المشتركة، والمصالح العليا للبشرية التي تتوافق مع مقاصد الشرائع السماوية في المحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه؛ مما يفتح مجالًا واسعًا للتفاعل الإيجابي، والتفاهم والحوار بين المجتمعات والحضارات"[(١)] .

و"إن المؤمنين بالكتب المنزلة من الله على رسله عليهم السلام قادرون من خلال التزامهم بعقيدتهم وقيمها على مواجهة مشكلات العالم المعاصر، وإيجاد حلول ملائمة لها، وكذلك التصدي لكل التحديات، إنهم بذلك أصحاب رسالة إنسانية مشتركة عليهم أن يحملوها ويؤدوها في عالم تسوده فوضى ناتجة عن ضعف الدين في النفوس، وعن شيوع الاتجاهات الإلحادية والعلمانية والتيارات العبثية اللامبالية، فلا بد من نقل هذه القيم الفاضلة إلى الأجيال، وأن يتوصلوا عبر هذه القيم لإدراك معنى وجودهم وكنه ذاتهم، ودورهم في الكون، وما ينبغي أن تكون عليه علاقتهم مع الآخرين، وما تفرضه عليهم هذه العلاقات من واجبات"[(٢)].

والحوار بين مختلف الحضارات والثقافات لا بد أن يرتكز على تقبل التنوع والاختلاف؛ خاصة فيما يتعلق بما هو قيمي ثقافي، وعقائدي[(٣)] .

وبناء على ما سبق فإن الحوار منهج يُكوّن أرضية أخلاقية وقيمية لبناء مشترك إنساني شامل، يقوم على مبادئ الوحدة الإنسانية، والتسامح والتعايش، ونبذ التعصب والعنف.

مجلة الاجتهاد، لبنان، مجلد ٢٠٠٢م، العدد (٥٢، ٥٣)، ص ٦٢، ٦٣.

(١) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٩٤-٩٥.

(٢) الحوار قيمة حضارية، هيثم جلول، ص٦.

(٣) قيمة القيم، المهدي المنجرة، قراءة: عبد الكريم غريب، مجلة عالم التربية، العدد (٢١)، عام ٢٠١٢م، ص٢٤.

ثانيًا: قيمة التعارف:

التعارف في اللغة:

مصدر عرف، قال ابن فارس[(١)]: "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العرف: عرف الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه. ثم قال: والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه. ومن الباب العَرْف، وهي الرائحة الطيبة؛ لأن النفس تسكن إليها. يقال: ما أطيب عرفه. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ [محمد: ٦]، أي: طيبها. والعرف: المعروف، وسمي بذلك؛ لأن النفوس تسكن إليه"[(٢)].

والعرفان: العلم، ورجل عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة. ورجل عارف؛ أي: صبور. والتعريف: الإعلام، والتعريف أيضا: إنشاء الضالة. وقد تعارف القوم؛ أي: عرف بعضهم بعضًا. والمعروف ضد المنكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير، وتطمئن إليه[(٣)].

ومن خلال ما تقدم يتبين أن معاني عرف تستعمل للدلالة على الصبر والاطمئنان، وهو الذي ينسجم مع لفظ التعارف بالمعنى الذي يحقق مقصد التعارف، قال تعالى: : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي الآية تنبيه أن الناس وإن لم يكونوا سواسية من حيث الجنس والقومية واللسان فإن الرابط الأصيل

(١) أحمد بن زكريا بن فارس القزويني الإمام اللغوي، له مجمل اللغة مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة، وغيرها، (ت٣٩٥هـ). انظر: معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ٤١٢/١ وما بعدها.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٨١/٤.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١٠/١٠ باختصار.

الذي يجمع شتاتهم وتفرقهم هو المسمى الانساني[١].

ويعتبر التعارف أحد ركائز التعايش، ولفظة التعارف في دلالتها المعجمية تعني: التفاعل المستمر بين أكثر من طرف، وهذه الدلالة مناسبة للسياق الذي وردت فيه، فكان القصد منه إقامة تعارف ينم عن صدق في المشاعر والأحاسيس، ومن ثمة التأثير في الآخر سواء على جهة الدعوة أو التعاون الانساني ليتحقق التعايش[٢].

إن التعارف في الإسلام غاية تحقق لكافة الانسانية الانسجام والتناغم الفكري والروحي، والعلاقة القائمة على اساس المنافع المتبادلة أو حتى على أساس الآثار ومبدأ التبرع، وهذا يعتبر قمة القوام الإنساني في العلاقات الاجتماعية.

وقد جعلت الآية السابقة حكمة جعل الله الناسَ شعوبا وقبائل أن يعرف بعضهم بعضا. والتعارف يحصل طبقة بعد طبقة متدرجا إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العمائر، والعمائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها"[٣]، "وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم"[٤]، قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: "يقول تعالى مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبا، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك... فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى

(١) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص٧٢.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص٥٦١.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٥٨/٢٦.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٦٣/٢٦.

بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا، منبها على تساويهم في البشرية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته"[(١)].

فالآية تفيد أن تباين القبائل الناس وسيلة للتعارف والتحَّاب، لا أن يُتخذ مطيَّة للتباغض والتفاخر، وأن الغرض من قيمة التعارف هو التعاون والتكاتف، وبهذا تميز الإنسان عن الحيوان، فالله سخَّر بعض بني آدم لبعض، وجعل العلاقة بينهم علاقة تكامل لا تنافر وتقاطع، ومن أجل هذه الحكمة خلقهم الله تعالى، وهذه هي الصورة الناصعة لجمالية لدين الإسلامي في تأكيده على وحدة النوع الإنساني؛ فأصلهم واحد، وربهم، واحد، وغاية خلقهم واحدة، مما يدل على أن هذا الدين يسعى لسعادة البشرية جمعاء.

وهذه القيم الإنسانية المشتركة النبيلة لا توجد في غير هذا الدين الحق، يقول ابن باديس[(٢)]: "ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدِّين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها، فيقول: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويقرر التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس ويُبَيّن أنهم كانوا أجناسًا للتمييز لا للتفضيل وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط فيقول: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ ، ويدعو تلك الأجناس كلِّها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة"[(٣)].

(١) تفسير القرآن العظيم، ٣٨٥/٧.

(٢) عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي، رئيس جمعية علماء الجزائر، ولد في قسنطينة، وتوفي عام ١٣٥٩هـ، له تفسير القرآن. انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٠٥/٥.

(٣) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ٢٣٤/٣.

فالتعارف سنّة إلهية، أقامها الله تعالى كفطرة ثابتة في نفس الإنسان، "فما جاء الإسلام للحرب والخصام، بل جاء بالهدى والسلام، ولكن سلام الإسلام سلام عزيز قوي"(١).

فالنداء في الآية صريح في الدعوة للتخلّق بقيمة التعارف بين الجميع، واستواء الناس في الحقوق والواجبات.

وهي من أجل ذلك؛ يصح أن تعتبر من روائع جوامع الكلم القرآنية وأقواها وأبعدها مدى وأثرًا في الحياة الاجتماعية والسياسية والشخصية والإسلامية" (٢) .

ومن لطائف الآية أن قوله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ، جاء بعده: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ، وهي جملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا؛ لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد، وأم واحدة، كان الشأن ألا يفضل بعضهم بعضًا إلا بالكمال الإيماني، وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم، والذي جعل التقوى وسيلته.

والحكمة في اختيار النسب من جملة أسباب التفاخر دون غيره كالمال؛ لأن "الأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة، لكن النسب أعلاها، ولأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به - وقد يفتقر الغني فيبطل افتخاره - والحسن والسن، وذلك غير ثابت ولا دائم، والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له، فاختاره الله للذكر، وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى، ليعلم منه بطلان غيره بالطريق الأولى؛ لأنه إذا سقط اعتبار الأعلى فسقوط اعتبار الأدنى أولى، وهذا فيه من البلاغة ما فيه"(٣).

وبهذا يتبين أثر القيم الأخلاقية في إرساء قواعد التعارف والتعايش والطمأنينة والأمان بين المجتمع، لكون هذه القيمة تكتنز قيمًا أخرى تبرزها وتجليها، وتشكل سياجًا ضامنًا لحمايتها.

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م،.٢/٦٥٣

(٢) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ،.٨/٥٢٣

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ١١٨/٢٨.

المطلب الثاني

أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الكرامة الإنسانية، والتعايش

وسوف يتم الحديث عن قيمتين من قيم القيم المشتركة التي تحقق التآلف والوئام.

أولا: قيمة الكرامة:

الكرامة في اللغة:

اسم من الإكرام، وهو التعظيم والتنزيه، يقال: كرُم الشيء كرما: إذا نفس وعز فهو كريم، وله علي كرامة، أي: عزازة. وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان إكرام -أي: نفع- لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كريما، أي: شريفًا...والكرم في الخلق يقال هو الصفح عن ذنب المذنب. والكريم: الصفوح. واللّٰه تعالى هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين... والكريم: من صفات اللّٰه وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم. اسم جامع لكل ما يحمد، فاللّٰه عز وجل كريم حميد الفعال. والكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء[(١)].

فالكرامة في اللغة وتصاريفها تدل على "الشرف، والفضل، والعطاء، والنفع بلا مقابل، والعزة، والنفاسة، والعظمة، والتنزه عما يشين، والجامع لأنواع الخير والفضائل، والصّفح، والنّماء، كما تطلق على كل ما يحمد، وهي اسم من أسماء اللّٰه تعالى"[(٢)].

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٣٢/١٠، مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٧١/٥، ١٧٢، المصباح المنير، الفيومي، ٥٣٢/٢، لسان العرب، ابن منظور، ٥١٠/١٢ - ٥١٢، تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٣٣٧/٣٣.

(٢) الكرامة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية، براء محمود محمد، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٩م، ص١٢.

الكرامة في الاصطلاح:

تختلف تعريفاتها بحسب المجال الذي تستعمل فيه، فهي في المجال العقدي: "ظهور أمر خارق للعادة على يد شخصٍ صالح غير مقارن بدعوى النّبوّة والرّسالة"[(١)].

وعرفت بأنّها: "إيصال الشّيء الكريم إلى المكرّم، والتّكريم جل الشّيء المكرّم كريمًا في ذاته"[(٢)].

والكرامَة المقصودة في هذا البحث هي: "قيمة ذاتية متمثلة بمجموعة من الخصائص والصّفات التي تميز الإنسان وتجعله يشعر بالمساواة مع الآخرين"[(٣)].

أو "هي قيمة عليا خص الله تعالى بها الإنسان، وفيها النفاسة والرفعة والعزة وعلو الشأن، وتنتفي معها معاني الخسة والذل والهوان والابتذال"[(٤)] .

والكرامة قيمة إنسانية مشتركة، وهي قضية إنسانية تتجلى في كل عصر وفي عالمنا اليوم ولها أهمية كبيرة، وهي تخص جميع الناس فرادى وجماعات، والإنسان بلا كرامة لا قيمة له ولا اعتبار، وسيبقى يرزح تحت أغلال العبودية، والقهر، والظلم، والاضطهاد، ولقد جاء الإسلام ليخرج الناس من الوضع البائس، وحرصت نصوص الشارع الحكيم على حفظ الكرامة الإنسانية، مهما كانت منزلة المرء ورتبته، وعلى الإنسان التمسك بالكرامة، لأن خسرانها خسران لإنسانيته وكيانه بالكلية، وهي من أهم ما يتميز به الإنسان، ويصعد به سلم الرقي الإيماني والروحي.

وقد قرر الإسلام دعائم الكرامة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٨٤.
(٢) التّوقيف على مهمّات التّعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ص٢٨١.
(٣) فقه الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية، رفيق رضوان، مجلة البحث العلمي الإسلامي، مركز البحث العلمي الإسلامي، المجلد (١٨)، العدد (٤٠)، ٢٠٢٢م، ص٤.
(٤) الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، دلال ناصيف، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، ٢٠١٩م، ص١٣.

٧٠]، و"الإنسان هو المقصود من العالم، وإيجاد ما عداه لأجله... وجعل تعالى الإنسان سلالة العالم وزبدته، وهو المخصوص بالكرامة ...وجعل ما سواه كالمعونة له كما قال تعالى في معرض الامتنان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]"[(١)].

و"للإنسان فضل على الحيوانات كلها في نفسه وجسمه: أما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة والتمييز والرأي، فإن البهائم وإن كانت كلها تحس وبعضها يتخيل فليس لها فكر ولا رويَّة، ولا استنباط المجهول بالمعلوم، ولا تعرف علل الأشياء وأسبابها... وأما فضله في جسمه فبالبد العاملة، واللسان الناطق، وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما أوجد في هذا العالم، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]، وبقوله: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤]، ولم يعن الصورة التخطيطية فقط، بل عناها والصورة المعقولة، ولتشريفه تعالى إياه بذلك"[(٢)].

قال ابن العربي[(٣)] مبينًا بعض مظاهر الكرامة الإنسانية: "ولم لا تكون كريما؟ وقد كرمك الله سبحانه جنسا؛ بأن خلقك آدميًا، حيا، عالمًا، قادرًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، مريدًا، وأكرمك بأن سخر لك البر والبحر، وسخر لك المحال التي تتصرف عليها فيه؛ من الفلك والأنعام"[(٤)].

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٥.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٧م، ص٧٨.

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي المعافري ولد بإشبيلية، وكان أبوه من أعيانها وفقهائها، مؤلف مكثر، من مؤلفات أحكام القرآن، وقانون التأويل، وغيرها، توفي سنة (٥٤٣هـ). أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ٢٩٦/٤.

(٤) سراج المريدين في سبيل الدين، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله: عبد الله التوراتي، دار التحديث الكتانية طنجة -

وقال ابن القيم[١]: "فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها؛ من العقل، والعلم، والبيان، والنطق، والشكل، والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقد المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد"[٢]، وما أجمل ربطه هنا بين القيم والكرامة الإنسانية.

والكرامة التي منحها الله تعالى بني آدم عامة تشمل المؤمن والكافر، قال ابن باديس: "هذا التكريم هو عام للنوع الإنساني من حيث هو إنسان، لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر؛ لأنه راجع للخلقة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بما عنده من عقل وتفكير. وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ بني آدم، ومثل هذا التكريم في العموم الحمل في البر والبحر والرزق؛ لأنها من جملة التكريم"[٣].

فالكرامة الإنسانية تتربع على سلم القيم العليا في الإسلام، وهي حق لكل إنسان بمقتضى إنسانيته، وبمراعاتها يتحقق السلام الداخلي والخارجي، ويبلغ الإنسان أعلى درجات الكرامة حينما يكون عبدًا لله، مخلصًا، مطيعًا، مخبتًا، تقيًا، "ومن مظاهر هذا التّكريم حصر مظاهر شرف الإنسان في العبوديّة لله وحده، وتحريره من عبادة الأصنام والأوثان والبشر"[٤].

المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ٣/٣١٧.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بابن قيم الجوزية، الإمام العلم الكبير، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، من مؤلفاته الوابل الصيب، وإعلام الموقعين، وغيرها كثير، (ت٧٥١هـ). انظر: أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٤/٣٦٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/٢٦٣.

(٣) آثار عبد الحميد بن باديس، ٣/٣٠٣، ٣٠٤، باختصار يسير.

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، إشراف: صالح بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة،.٤/١١٣٥

ثانيًا: قيمة التعايش:

التعايش في اللغة:

تفاعُل، وهو مصدر مأخوذ من العيْش، وجمعه معايش، ويقال: عاش الرجل يعيش عيشًا ومعاشًا[(١)]، و"العيش والحياة والمعيشة اسم لما يعاش به، وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١١]، "أي: ملتمسًا للعيش. والعيش: المطعم والمشرب، وما تكون به الحياة"[(٢)]، والتعايش: أن يعيش بعضهم مع بعض، أي: عاشوا على الألفة والمودة"[(٣)].

وبهذا يتضح أن استعمال لفظ عيش في اللغة يدل على الحياة والبقاء، والمعيشة، اسم لما يعاش به، فكلمة التعايش: تدل في عمق معناها على العيش المشترك؛ لأن صيغة تفاعل في التركيب الصرفي تدل على المشاركة.

التعايش في الاصطلاح:

التعايش من المصطلحات الحديثة، وإن كانت جذوره ضاربة بأطنابها في اللغة العربية، وقيل في تعريفه الاصطلاحي:

هو: "علاقة متبادلة بين أفراد مجموعة بشرية تقيم على أرض واحدة على المسالمة والأمان والمهادنة والاطمئنان"[(٤)].

وقيل: "هو تساكن وتسالم بين بني الإنسان، وإيجاد مساحة مشتركة من الاتفاق والتعاون من أجل ضمان استمرارية الحياة، وتحقيق مصالح جميع الأطراف، مع احتفاظ كل طرف بخصوصياته"[(٥)].

---

(١) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٢٨٢/١٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣٣٦/٦

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، ٦٣٩/٢.

(٤) مفهوم التعايش في الإسلام، عباس الجراري، مجلة الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، العدد (١٤)، ٢٠١٧م، ص٢٧.

(٥) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري، ص ٧٧، ٧٨.

فالتعايش أن يعيش الناس - مهما اختلفت أديانهم - على أساس تحقيق المصالح المشتركة، دون انتقاص أو ظلم، قال ﷺ: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة[١]، وقال ﷺ: إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا - أو قال: ذمة وصهرًا[٢]، قال النووي[٣]: "وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر"[٤].

والتعايش قد يكون بين أتباع الدين الواحد، أو الأديان في الوطن الوحد، وقد أرسى الإسلام أركان قيمة التعايش ووضع أصولها؛ منطلق عقدي أساسه علاقة الخالق سبحانه وتعالى بالإنسان. وذلك في إطار توجيهات قرآنية مختلفة تحمل دلالات واسعة "بشأن ترسيخ قيم التعايش، والتعارف، والتآلف، والسلام، والعدل، والمساواة، والتعاون، والإصلاح، والتسامح، والرحمة، والرفق"[٥]، فأصل النوع الإنساني واحد، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

(١) سنن أبي داود، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الخراج والفي والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارة، ١٧٠/٣، حديث رقم (٣٠٥٢)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٥١٨/١، حديث رقم (١٢٤١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي بأهل مصر، ١٩٧٠/٤، حديث رقم (٢٥٤٣).

(٣) محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النوواي، الإمام الحافظ الفقيه الشافعي، الزاهد، له مؤلفات كثيرة، منها: شرح صحيح مسلم، وروضة الطالبين وغيرها، (ت٦٧٦هـ)، المقتفي على كتاب الروضتين، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ٤١٣/١.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.،١٦/٩٧

(٥) الأنا والآخر من منظور قرآني، السيد عمر، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص١٣٢.

ونستشف من هذه الآية أن علاقة الصهر التي تنشأ عن الزواج، تؤلف بين مكونات المجتمع وإن اختلفت ألوانهم، وأجناسهم، وأوطانهم، وثقافاتهم، فتثمر تماسكا اجتماعيا، وتحملهم هذه الصلات الاجتماعية على التكافل والتناصر وأداء الحقوق.

والتعايش في منظور القيم الأخلاقية الإسلامية لا يخص طائفة معينة من بني آدم على خلفية دينية أو عرقية أو قومية أو جنس أو لون، ونحو ذلك وإنّما هو دعوة لكافة بني آدم إلى ضرورة انسجام المجتمع بكل أطيافه مهما اختلفت عقائدهم أو مذاهبهم، وتعايشهم في سلام وأمن وتعاون، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وهذه الآية الكريمة بينت أن دائرة التعايش، والعلاقة بين المسلم وأخيه المسلم، وكذلك مع غير المسلم مبنية على قيمة الإحسان، فالتعايش لا يقتصر على التعامل مع الآخر - غير المسلم - الخارجي، وإنما يشمل من يعيش معه في الوطن نفسه؛ سواء كانت هناك صلة قرابة أم لا.

والإسلام يجعل التعايش مع القريب غير المسلم منطلقًا من قيم كلية جامعة؛ ومنها: قيمة المعروف، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]، وقيمة البر والقسط، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، القرطبي: "هي رخصة من اللّه تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم وأن يبروهم ويقسطوا إليهم، أي: يعطوهم قسطا من أموالهم على وجه الصلة"[(١)].

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٧/ ١٢٥

والبر بابه واسع جدا، وهو أعلى أنواع المعاملة، فقد أمر الله عز وجل به في باب التعامل مع الوالدين وبينه رسول الله ﷺ بقوله: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس[١].

واحترام التعايش لا يمنع المسلم من دعوة الآخر إلى الإسلام من باب حب الخير له، ولكن دون إكراه، و"لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من خلفائه أنه أجبر أحدا من أهل الذمة على الإسلام بموت أبيه، مع أنه لم يخل زمنهم عن موت بعض أهل الذمة عن يتيم"[٢]، وهذا لا ينافي الدعوة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن حرية الاعتقاد مكفولة لكل من نتعايش معهم، كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قال ابن كثير[٣]: "أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورًا"[٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، ١٩٨٠/٤، حديث رقم (٢٥٥٣).

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.، ٩/١٩.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي البصري، الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الكبير، صاحب المصنفات النافعة، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية في التاريخ، وطبقات الفقهاء، وغيرها، (ت٧٧٤هـ). انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ٦٧/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٦٨٢/١).

وتتعدد الأخلاق التي يحتكم إليها التعايش في النصوص القرآنية، من خلال إزالة الموانع التي تحول دون تحقيقه، ومنها الكلام الذي يشحن الصدور بالبغضاء، ويؤدي للتنافر ومن ثم فقد الاحترام، وقد حذر الإسلام من ذلك وحض على الالتزام بالأدب في التعامل مع الآخرين، ونهى عن فضول الكلام، والخوض في الباطل، ودعا إلى كل ما من شأنه أن يسهم في بناء مجتمعٍ متماسكٍ متسامح، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقد قرر القرآن قيمة التسامح مع من تقتضي الأحوال مخالطتهم من أهل الملل الأخرى؛ تحقيقا للأمن والتعاون، انطلاقا من أن الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام، وحده هو الدين الحق كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، فمع أن سائر الديانات ليست على حق، فإن الإسلام انطلاقا من موقف التسامح بتعايش معها، وهذا لا يعني إقرارا بصحة معتقداتها؛ فالدين الحق الذي لا يقبل الله غيره هو دين الإسلام(١)، كما تتحقق هذه القيمة من عدم أذية غير المسلمين بقول أو فعل، فمن المنهي عنه سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به درءا للمفسدة.. وفي هذا المقام يقول ابن عاشور(٢): "لم يحفظ التاريخ أن أمة سوت التسامح بأن نسميه العظمة الإسلامية"(٣).

(١) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، هدايات سور رحمن، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٦٥.

(٢) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية. جده للأب تقدمت ترجمته، وجده للأم هو الوزير الأكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور، مؤلفاته كثيرة، ومنها: التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وغيرها، (١٣٩٣هـ)، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ٣٠٤/٣ - ٣٠٧.

(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، ط١، ١٤٣١هـ، ص٢١٩.

والتعيش من المنظور القيمي ركيزة أساسية وقيمة للوعي الحضاري، فهو يعكس تقدم المجتمع واستعداده لبناء حضارة متقدمة تعزز ثقافة السلام، وقيم الاحترام المتبادل، والتضامن، وتمتين روح الأخوة الإنسانية.

والقرآن الكريم يشجع على بناء علاقات سلميَّة لتحقيق التقدم والازدهار. ويعتبر العهد النبوي أفضل مثال على التعايش، ففيه أرسيت قاعدة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، مع بقائهم على تعاليم ديانتهم، وليس من التعايش أن يتنازل المسلم عن دينه، فهذا انحراف في فهم مقاصد التعايش، وهدر لكرامة المسلم ورسالته في الحياة، ليصبح عيشه يدور في فراغ دون رسالة في الحياة، وتأثير في المجتمع القريب أو البعيد.

يقول برنارد لويس" :الإسلام من ديانات العالم الكبرى، وقد منح العرب قيمة وحياة لا تستلب؛ علم الناس من شتى الأعراق على العيش في أخوة، وعلم الناس من شتى العقائد على الحياة جنبًا إلى جنب بتسامح معقول. وكان مصدر إلهامهم حضارة عظيمة، عاش فيها الآخرون جانب المسلمين حياة مفيدة، حضارة أغنت بمنجزاتها العالم ١٧ قرنًا"[(١)].

ومن خلال ما تقدم تتضح عناية الإسلام بالقيم الخلقية التي ترسي أسس التعايش المشترك بين أتباع الأديان، والتي عاشت في ظل الحضارة الإسلامية مع المسلمين عبر القرون، جنبا إلى جنب في طمأنينة وأمن وسلام، ووئام، وحقوقها محفوظة.

---

(١) انظر: العرب في كتابات المستشرق برنادر لويس، مبارك بابي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠٢٢م، ص٨٢.

الخاتمة

الحمد لله على توفيقه لإتمام هذا البحث، ويطيب لي في هذه الخاتمة أن أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج:

١ - الإسلام سبق كافة القوانين والتشريعات في وضع أسس التعايش والقيم المشتركة.

٢ – للقيم الأخلاقية في الإسلام ثلاث أسس هي: المعرفة، والتربية الأخلاقية، والسلوك.

٣ - للقيم الأخلاقية في الإسلام ثلاثة أركان: الإلزام، والمسؤولية، والجزاء.

٤ - الجزاء في الإسلام يشمل الجانب الدنيوي والأخروي خلافًا للنظريات الوضعية التي لا تجعل للقيم الروحية والآخرة شأنًا ولا تلقي لها بالًا.

٥ - الإسلام يربي الضمير عن طريق العناية بالقلب، الذي هو مركز الضمير.

٦ - ترتكز القيم المشتركة في الإسلام على أربع من القيم العليا، وهي: الحوار، والتعارف، والكرامة الإنسانية، والتعايش.

٧ - الإسلام لا يفرق في الكرامة بين المسلم وغير المسلم، فالكل لهم حق الكرامة.

٨ - من شأن تطبيق القيم الإسلامية تحقيق العيش الكريم والسلم الاجتماعي الداخلي والخارجي.

٩ - القيم الأخلاقية مرتبطة بالسلوك، وهو المعبر عنها، وهي مرتبطة بكل جوانب الحياة.

ثانيا: التوصيات:

١ - عمل دراسة مقارنة لقيمة التعايش بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى.

٢ - عمل دراسة لقيمة التعارف بين الإسلام والفلسفات الوضعية.

٣ - عمل دراسة مقارنة لقيمة الكرامة عند مفكري الإسلام ومفكري الغرب.

قائمة المصادر والمراجع

١. اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة، محمد جواد الزيادات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمَّان، ٢٠٠٩م.

٢. آثار ابن باديس، عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الطوفي الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٤. الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.

٥. أسس فلسفة الأخلاق، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد ٦، العدد ٦، ١٩٩٧م.

٦. الإسلام والصحة النفسية والجسدية للأنام، فايق محمد غنايم، دار المأمون للطباعة والنشر، ٢٠١٨م.

٧. أصول الأخلاق في القرآن الكريم، عبد الستار محمد نوير، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ٧، ١٩٨٩م.

٨. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، ط١، ١٤٣١ه.

٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

١٠. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١١. الأنا والآخر من منظور قرآني، السيد عمر، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

١٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق:

صدقي جميل وآخرين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية للنشر، د. ت.

١٤. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

١٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦. التربية الأخلاقية في الإسلام، مفهومها وأهدفها ومصادرها، رياض جواد، مجلة دراسات وأبحاث تربوية، بيروت، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع.

١٧. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، هدايات سور رحمن، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٨. التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

١٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٠. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢١. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٢. تنمية اتجاه الطالبات نحو قيمة تحمل المسؤولية، منتهى بنت محارب، العدد ٦٧، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، ٢٠٢١م.

٢٣. التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد إسحاق إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٢٤. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، د. ت.

٢٥. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء، التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٢٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٨. الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا، عبد الله الطريفي وزملاؤه، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، وطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

٣٠. الحوار قيمة حضارية، هيثم جلول، مجلة نهج الإسلام، مجلد ٢٤، العدد ٩٠، ٢٠٠٢م.

٣١. الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي.

٣٢. الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الرياض.

٣٣. الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٣٤. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٣٥. دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ترجمة وتعريب: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية.

٣٦. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٧م.

٣٧. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.

٣٨. سراج المريدين في سبيل الدين، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله: عبد الله التوراتي، دار التحديث الكتانية طنجة - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٣٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٤٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

٤١. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه.

٤٢. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.

٤٣. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

٤٤. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٦. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.

٤٧. صلة التكملة لوفيات النقلة، عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

الحسيني ت٦٩٥هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيرت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٤٨. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، ابن قاضي شهبة ت ٨٥١هـ، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٩. طرق الإلزام الأخلاقي وتنوعها، مصطفى حلمي، شبكة الألوكة، طرق الإلزام الأخلاقي وتنوعها أو وسائل الردع والزجر في الإسلام

٥٠. عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بوطالب، مجلة الاجتهاد، لبنان، مجلد ٢٠٠٢م، العدد ٥٢، ٥٣.

٥١. العرب في كتابات المستشرق برنادر لويس، مبارك بابي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠٢٢م.

٥٢. علم النفس العام، مدثر سليم أحمد، د. ت، د. ط.

٥٣. فاعلية التربية الأخلاقية في المدارس الأردنية الخاصة، إسراء عبد الله، ومحمد الزيود، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، مجلد ٢٨، العدد ٢.

٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٥. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، عني به: أحمد جاسم المحمد، وآخرون، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥٦. فقه الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية، رفيق رضوان، مجلة البحث العلمي الإسلامي، مركز البحث العلمي الإسلامي، المجلد ١٨، العدد ٤٠، ٢٠٢٢م.

٥٧. فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٥٨. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق:

مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

٥٩. قيمة القيم، المهدي المنجرة، قراءة: عبد الكريم غريب، مجلة عالم التربية، العدد ٢١، عام ٢٠١٢م.

٦٠. كتاب الأخلاق، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

٦١. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٦٢. الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، دلال ناصيف، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، ٢٠١٩م.

٦٣. الكرامة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية، براء محمود محمد، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٩م.

٦٤. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٦٥. مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٧م.

٦٦. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٦٧. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٦٨. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

٦٩. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٧٠. المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، سجاد أحمد أفضل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، ٢٠٠٧م.

٧١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، محمد بن أحمد الفيومي، المكتبة العلمية بيروت.

٧٢. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٧٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٧٤. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧٥. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، إسطنبول، دار الدّعوة.

٧٦. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧٧. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٩. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

٨٠. مفهوم التعايش في الإسلام، عباس الجراري، مجلة الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، العدد ١٤، ٢٠١٧م.

٨١. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٨٢. المقتفي على كتاب الروضتين، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ت ٧٣٩ هـ، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٨٣. مقدمة في علم الأخلاق، محمود حمدي زقزوق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٨٤. المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، مروان القيسي، مجلة دراسات، سلسلة العلوم الانسانية، جامعة اليرموك، إربد، المجلد ٢٢، العدد ٦٦.

٨٥. النسخ في القرآن الكريم، عبد الله بن حمد الشبانة، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٩.

٨٦. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، إشراف: صالح بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٨٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، ت ٦٨١هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ٢٩٦/٤.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:..... ٧٣٩
مقدّمة..... ٧٤٣
مشكلة البحث:..... ٧٤٣
أهمية الدراسة:..... ٧٤٣
أهداف الدراسة:..... ٧٤٤
منهج البحث:..... ٧٤٤
خطة الدراسة:..... ٧٤٤
التمهيد: تعريفات عامة..... ٧٤٥
تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح:..... ٧٤٥
تعريف القيم في اللغة والاصطلاح:..... ٧٤٥
المبحث الأول: أسس وأركان القيم الأخلاقية في الإسلام..... ٧٤٧
المطلب الأول: أسس القيم الأخلاقية في الإسلام..... ٧٤٧
١ - المعرفة:..... ٧٤٧
٢ - التربية الأخلاقية:..... ٧٤٩
٣ - السلوك الأخلاقي:..... ٧٥١
المطلب الثاني: أركان القيم الأخلاقية في الإسلام..... ٧٥٥
الركن الأول: الإلزام:..... ٧٥٥
الركن الثاني: المسؤولية:..... ٧٥٨
الركن الثالث: الجزاء:..... ٧٦١
المبحث الثاني: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة..... ٧٦٣
المطلب الأول:أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الحوار والتعارف ٧٦٤
أولًا: قيمة الحوار:..... ٧٦٤
ثانيًا: قيمة التعارف:..... ٧٦٩
المطلب الثاني: أثر الأخلاق الإسلامية في تعزيز قيمتي الكرامة الإنسانية، والتعايش..... ٧٧٣
أولا: قيمة الكرامة:..... ٧٧٣
ثانيًا: قيمة التعايش:..... ٧٧٧

الخاتمة.....٧٨٣
أولا: النتائج:.....٧٨٣
ثانيا: التوصيات:.....٧٨٣
قائمة المصادر والمراجع.....٧٨٤
فهرس الموضوعات.....٧٩٢